مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: مـــــايـــو

التاريخ : ١٩٨١/١٠/٥

يوميـات حـرب أكتـوبر .. يكتبهـا أنور السـادات

أشـــهد أمـــام الله وأمـــام النـــاس .. أن الخطة التى وضعناها لحـرب يونيـو لم تنفذ

بعضـــهم أدخـــل تعـديلات فى الخطـة أدت الى ســـقوط العـريش فى اول يـــوم عنـدما سـأل عبد النـاصر عبـد الحكيم عامـر : هـل تعرف أن اغـلاق المضـايق معنـاه الحـرب ؟

أجـاب عبد الحـكيم : قواتنـا مسـتعدة لأى شىء ياريـس

كيف سمحنا بتكرار خطأ ضربة الطيران ووقعنا فى نفس المصيدة مرتين : سنة ٥٦ وسنة ٦٧ ؟

الرئيس انور السادات

اخترت

يوميات حرب اكتوبر عنوانا لهذه المقالات . وفكرت طويلا فى البداية التى ابدأ بها . فهى يوميات رايت ان اعود بها الى سنوات ماقبل الحرب التى اكتب عنها . سنوات سابقة اطلقنا عليها العديد من الاسماء والكثير من الصفات . اسميناها بسنوات الهزيمة . ثم غيرنا الاسم واطلقنا عليها سنوات النكسة . ثم اضفنا اليها كلمة الاستنزاف . دليلا على رفضنا للهزيمة ، ورفضنا للاستسلام ، واصرارنا على المقاومة ، واسترداد ما فاتنا .

والحديث عن سنوات هزيمة ١٩٦٧ لا يمكن ان يبدأ بيوم الهزيمة ، وانما يجب ان يعود الى السنوات القليلة التى سبقت هذا اليوم

قبل هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ كان لدينا لجنة تسمى بلجنة تصفية الاقطاع . وقد بدأت هذه اللجنة عملها بعد عملية الاخوان المسلمين التى تمت فى سنة ١٩٦٥ ، والمحاكمات التى جرت بعدها ، وجو التوتر ، والقلق الذى خيم على البلاد .

لماذا قامت لجنة تصفية الاقطاع ؟

ربما لان من خصائص الحكم الشمولى ـ وكنا نأخذ بهذا النظام وقتذاك ـ ان يظل فى حالة تيقظ بصفة دائمة ومستمرة . فالحكم الشمولى يسيطر على كل شىء . ويضع قبضته فوق اى شىء . فالقرار قراره . والحكم حكمه . والنظام نظامه . ولهذا السبب فانه لا يسمح بأى تسيب فى اى مكان . خوفا من ان يكون هذا التسيب بمثابة مفتاح الانقضاض على الحكم الشمولى ، وعلى النظام . .

لقد عشت هذه الفترة ..

عشتها بكل تفاصيلها ..

واستطيع ان اقول ان التجارب التى اكتسبتها خلال تلك الفترة ، هى التى جعلتنى اعلن ـ فيما بعد ـ ان اخطاء الديمقراطية فى جيل كامل ، لا توازى خطأ الديكتاتورية فى يوم واحد .

اننى اعتقد ان الحكم الشمولى يأتى دائما ضد التكوين الربانى لنا كبشر ، بعثوا فى الارض لتأدية رسالة . والشمولية تظل ضد هذه الرسالة بحكم اسلوبها ، ونظامها ، وحكمها . والذى يطبق النظام الشمولى يظل دائما على حذر ، وترقب ، وقلق .

وخوف توقعا منه ان الناس تسعى باستمرار لاحداث التغيير والعودة بالبلاد الى الحكم السليم الذى يجب ان يساعدهم فى تحقيق الرسالة المنتظرة منهم فوق هذه الارض .

ان الشعوب بقليل من الطعام ، والكثير من الحرية ، تستطيع ان تعمل وتنتج وتسعد بحياتها ، وعلى العكس من ذلك فان الشعوب بكل انواع الطعام ، وبكل مظاهر الرفاهية المعقولة وغير المعقولة ، لن تسعد ، ولن تهدأ ، اذا اعطيناها هذا كله وحرمناها - فى نفس الوقت - من الحرية . وغنما نحرم الشعب من حريته ، فان من الممكن جدا - بل والمتوقع - ان تحدث تغيرات فى كل وقت ، وفى اى موقع .

هكذا حدث فى ايران .. مثلا .

فمن كان يصدق ان رجلا مثل الخومينى طرد من البلاد ، وعاش سنوات طويلة فى المنفى ، ثم يعود الى البلاد ويطرد الشاه ، ويحكم ايران ، ويهز الدنيا كلها ! وليس صحيحا ان الخومينى هو الذى صنع هذا كله . الذى صنع الثورة هو شعب ايران وحده . لقد حرم هذا الشعب من حريته . وامتلا قلبه بالرفض . وبالتحفز ، والرغبة فى التغيير . وعندما اتيحت له الفرصة للانطلاق بشخص اسمه الخومينى ، انطلق معه ، وقامت الدنيا ..!

وبدلا من ان يعطى الخومينى الحرية للشعب ، الذى ثار من اجلها ، اراد الخومينى ان يعيد عجلة الزمان الى سنوات الجاهلية الاولى . ولن يقبل الايرانيون هذا الحكم البغيض . ومئات الضحايا . الذين يتساقطون كل يوم فى ايران ابلغ دليل على حالة الفوضى التى سقطت فيها البلاد تحت حكم الخومينى

تجربتى علمتنى ان مع الحرية يستطيع الانسان ان يتنازل عن اشياء اخرى عديدة . فالحرية لا تقدر بمال ولا بثمن . لقد اعطى الله الانسان حريته ، وارسله الى الارض ليكون خليفته ، وميزه بذلك عن باقى المخلوقات الاخرى . واذا كان الله قد اعطى الانسان تلك الحرية ، فكيف يأتى البعض ويحاول ان يسلب تلك الحرية ، ويكبتها ، ويحرمه منها ؟!

التجربة اوصلتنى الى هذا الاقتناع ..

وقد يدهش القارىء اذا علم اننى كنت فى صدر شبابى ديكتاتورى النزعة ! فقد عشت المدرسة القديمة

التى بدات فى النصف الاول من القرن العشرين ، ايام مصطفى كمال اتاتورك وهتلر وموسيليني . ورايت كيف كانت المعجزات تتحقق تحت حكم الديكتاتوريين . وكيف كانت الامور تتدهور فى ظل الديمقراطيين !

واحمد الله اننى لا اتمسك بالخطأ ابدا . فاذا تبين لى خطأ الخط الذى ارسمه . فاننى اتوقف على الفور واعيد رسم خط جديد . ومختلف .

لا يزعجنى على الاطلاق ان اغير رأيى ، او موقفى . اذا اثبتت لى التجربة خطأ هذا الراى وهذا الموقف . فليس عيبا ان تصحح الخطأ . ولكن العيب هو ان تتمسك به . وتستمر فيه .

فى يوم ٢٧ يوليو ١٩٥٢ صوت مرتين الى اجانب الاخذ بالديكتاتورية . وبمنتهى العنف والقوة . وقتها كنت مقتنعا كل الاقتناع بأن الحل الوحيد لاقتلاع الفساد السياسى والاجتماعى من بلادنا هو الاخذ بالديكتاتورية . ولهذا السبب صوت الى جانبها . واذا كنت قد غيرت رأيى فيما بعد . فلا اعتبر هذا عيبا ، او سقطة يمكن ان اخجل منها .

اعود الى السنوات القليلة التى سبقت الهزيمة .

ان تلك اللجنة اصابت الشعب المصرى بجرح عميق . بل لا ابالغ اذا قلت ان تلك اللجنة تمثل اقسى ما واجهه شعب مصر فى تاريخه الحديث . وكم اود ان يعكف المؤرخون على التاريخ لتلك المرحلة التى شهدت قيام لجنة تصفية الاقطاع ، حتى يمكن للاجيال الجديدة والقادمة ان تقدر حجم المعاناة التى تحملها الشعب فى تلك الفترة .

لجنة تصفية الاقطاع ظلمت الكثيرين . واهانتهم . واذلتهم . لدرجة ان احد المواطنين الصعايدة اعتبر قرار اللجنة ماسا برجولته ! فالرجل لم يهتم بما سلبته اللجنة من املاك واموال وانما الذى اثار اهتمامه . وغضبه . وحنقه . هو النفقة ، التى قررت اللجنة صرفها له فى اول كل شهر ، حتى يمكنه ان يتعيش بها . ثار الرجل الصعيدى لرجولته وعلق على ذلك قائلا بدهشة واستنكار شديدين

ـ « ماذا ؟ هل جاء اليوم الذى اخذ فيه نفقة كالولايا والحريم ؟! »

لقد استنكر الرجل ان يتقاضى نفقة . مثل المطلقة . وفضل ان تستولى اللجنة على كل ثروته وجميع ممتلكاته . بلا جريمة ارتكبها . على ان يعامل معاملة الحريم . والمطلقات اللاتى يذهبن الى المحاكم طلبا للنفقة !

كان الانسان المصرى ممزقا من جرحين اثنين . جرح الحكم الشمولى الذى سلب الحرية . وجرح لجنة تصفية الاقطاع التى اهدرت كرامة العائلات . واذلت رجالاتها . واهانت نساءها . حدث هذا للانسان المصرى . فى نفس الوقت الذى كانت فيه العلاقات المصرية العربية فى غاية السوء . وكان الموقف العربى مفككا . ومضطربا . فمصر لها قوات عسكرية كبيرة تحارب فى اليمن انقاذا لثورة اليمن التى قامت فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ . انقاذا لها من حكم القرون الوسطى الذى كان يطبق فى البلاد .

لقد استطاعت قواتنا المسلحة ان تثبت اقدام ثورة اليمن . كما استطاعت ان تحرر عدن . وتلك هى النتائج المباشرة لعمليتنا فى اليمن . وفى مقابل هذا فقدنا الافا من شبابنا وزهرة قواتنا المسلحة فوق جبال تبعد عنا بآلاف الأميال .

وحرب اليمن ساهمت مساهمة فعالة فى زيادة تمزق الامة العربية . فموقف السعودية من تلك الحرب كان معروفا . وواضحا . ووقف الى جانبها من يسير فى خطها . وازداد عدد الدول التى عارضت عملية اليمن . ووقفت ضد التدخل العسكرى المصرى .

والاهم من هذا كله . ان عملية اليمن جعلت مصر ترسل خلاصة قواتها المسلحة لتحارب بعيدا عن حدودها . ولم تعد تلك القوات الا بعد حرب يونيو وبعد مؤتمر الخرطوم والاتفاق الذى تم هناك بين الملك فيصل وجمال عبدالناصر .

لقد دخلنا الحرب ضد اسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ وجانب كبير من قواتنا يبعد الاف الأميال عن جبهة القتال ! دخلنا حربا ضد عدو شرس ومسلح حتى اسنانه . فى نفس الوقت الذى كنا نحارب معركة غير معركتنا . ولحماية ثورة غير ثورتنا . تلبية لنداء القومية والالتزام العربى .

وياليتنا استفدنا من عملية اليمن .. !

كان لابد ان تستغل تلك العملية لتصبح ميدانا لتدريب قواتنا المصرية على القتال العملى والحقيقى . وهذا لم يتحقق للاسف . والاكثر من هذا ان القيادة المسئولة عن تلك العملية حولتها الى منفعة اقتصادية شخصية !

فبعد فترة من بدء العمليات القتالية . حدث نوع من الاسترخاء . واصبح لايذهب الى اليمن الا من يحتاج الى ميزة مادية . فهو يتقاضى ضعف راتبه . كما

يستطيع ان يشترى مالايجده فى مصر التى كانت مغلقة النوافذ والابواب فى هذا الوقت . وكان يدخل تلك المشتريات والأجهزة دون ان يسدد عنها الرسوم الجمركية .

وانكر انهم عثروا فى مكتب احد ضباط القيادة - وكان مسئولا عن اختيار الضباط المسافرين الى اليمن - على كشف بأسماء هؤلاء الضباط ، وأمام كل اسم رمز مختلف يوضح سبب الاختيار . ومن اطرف تلك الرموز حرفا (ت . ح) واتضح بعد فك هذا الرمز ان (ت . ح) . تعنى « تحسين حالة » . اى ان هذا الضابط ارسل الى اليمن لا ليحارب ، وانما ليحسن حالته المادية !

هذا كله انكشف عنه الستار فيما بعد وبعد التحقيق فى القضية التى اتهم فيها عبدالحكيم عامر وجماعته ، بعد هزيمة يونيو وقدمت تلك الكشوف برموزها والفازها وطرائفها الى المحكمة .

هكذا كان الوضع فى مصر ..

وهكذا كان التمزق العربى ..

وكان السوفييت - على عادتهم وتقاليدهم - لا يحبون ان تزداد قوة شخص ما اكثر مما يستحق ويحتاج ! وقد هالتهم قوة عبدالناصر ، وانتشار زعامته من المحيط الى الخليج ووجدوا فيه انه اصبح قويا اكثر من القدر المسموح به فى نظرهم ! فقد تحول عبدالناصر الى اسطورة امام الأمة العربية فى اعقاب تأميم قناة السويس ، وحرب السويس ، واصبح اسمه يتردد على كل لسان . وغضب الاتحاد السوفيتى بسبب تزايد شعبية عبدالناصر . وافتعل خروشوف ازمتين مع عبدالناصر . الأولى سنة ١٩٥٨ ، سنة اتمام الوحدة مع سوريا ، والثانية سنة ١٩٦١ عندما تم الانفصال .

وكعادة السوفييت فانهم أرادوا مواجهة شعبية عبدالناصر ، عن طريق تقوية زعيم غيره ويكون منافسا له . حاولوا هذا فى سنة ١٩٥٨ عندما تصوروا ان عبدالكريم قاسم - رئيس العراق - يمكن ان ينافس عبدالناصر ويقلل من حجمه وشعبيته .

وخابت توقعاتهم ، واختفى عبدالكريم قاسم من الساحة ..

فحاولوا مرة ثانية مع صلاح جديد ، السورى ..

لقد تحمس الاتحاد السوفيتى لصلاح جديد كما لم

يتحمسوا لغيره من قبل فى الامة العربية . بشروا بـه زعيما ، وقائدا ، وملهما ! نادوا به قائدا ، ومفكرا ، ومفجرا ! ورد صلاح جـديد هـذا الجميل بـأن نشر الماركسية فى سوريا ، والغى الالقـاب وادخـل لقـب الرفيق لأول مرة ، وهو اللقب الذى مازال يؤخذ به فى سوريا حتى يومنا هذا !

واذكر اننى كنت فى زيارة للاتحـاد السـوفيتى فى مايو سنة ١٩٦٧ ، اسابيع قليلة قبل كارثة ٥ يونيو . والتقيت هناك مع صديق لى هـو سـمينوف ، وهـو شخصية سياسية على جانب كبير من الاهمية . فبعد الحرب العالمية الثانية عينوه حاكما للجزء الذى احتله الاتحاد السوفيتى من المانيا .

وهو عضو فى اللجنة المركزية ويشغل منصـب نائب وزير الخارجية . وقد ربـطتنى بـه صـداقة قـوية وقديمة ، ورافقنى طوال زيارتى للاتحـاد السـوفيتى التى قمت بهـا على راس وفـد بـرلمانى لمشـاهدة احتفالات أول مايو فى موسكو .

وتناقشت مع سمينوف عن صلاح جديد هـذا الذى طلعوا بـه حتـى السـماء فى ذلك الوقـت . واذكر ان سمينوف أخذ يعدد فضائل ، وصفات ، ومعجـزات ، صلاح جديد بحماس لم اعرفه عنه من قبل رغم كثـرة لقاءاتنا السابقة

ولم استطع ان احتمل اكثر مما احتملت ..

وقلت لسمينوف :

— سـبق أن ضـحك عليكم عبـدالكريم قـاسم ، وخـاصمتم مصر مـن اجله . وتصـورتم ان زعامـة عبدالناصر يمكن ان تتضاءل وتنتهـى امـام زعامـة عبدالكريم قاسم . فـأين عبـدالكريم قـاسم الأن ؟! نفس القصة تريدون تكرارها الأن بصـلاح جـديد . انكم لا تتعلمون ابدا من اخطائكم !

ولم يقتنع سمينوف بوجهة نظرى . وظل معجبـا ، ومتحمسا بصلاح جديد هذا ..

ويبدو انه اراد أن ينهى الحديث فى هذا الموضوع ، وكنا فى مطار موسكو انتظارا للطائرة التى ستعود بى الى القاهرة بعد انتهاء الزيارة ، فسـمعته يهمس فى اننى قائلا :

— انك ستعود اليوم الى القاهرة ، ويمكنك أن تذهب الى عبدالناصر فور وصولك وتخبره بـأن المعلومـات التى لدينا تؤكد ان اسرائيل حشدت عشرة لواءات عند الحدود السورية

ولم انتظر لحظة واحدة عقب وصولى الى مطار القاهرة . فقد توجهت من فورى الى منزل عبدالناصر لانقل له ما سمعته من الروس . وقال لى عبدالناصر ان الروس نقلوا اليه نفس الرسالة أمس .

وهذه هى طريقة السوفييت ..

فقد فعلوا مع القذافى ما فعلوه مع عبدالناصر . مع جمال قالوا له : « انتبه .. اسرائيل تحشد قواتها ضد سوريا ، فاحذر ! » تم تبين كذب هذه المعلومات بعد ذلك . ومع القذافى قالوا له : « الحق .. السادات ارسل لواء مدرعا تحرك من الاسكندرية تجاه الحدود الليبية ! » وخاف القذافى ، وركبه جنونه ، وأطلق صيحاته وصرخاته عبر قارات الدنيا الخمس . واتضح له بعد ذلك اننا لم نرسل أية قوات عسكرية ، وكل ما فى الامر اننا ارسلنا عربات نقل تحمل مطبخا ومخبزا الينا لقواتنا !

فهدف السوفييت ان يعلقوا القذافى من قدميه ، ويتركوه هكذا تتقاذفه الرياح ..!

أعود الى الحشود الاسرائيلية المزعومة التى اكدتها موسكو لعبدالناصر ..

وقتها كان صلاح جديد هذا يشن أعنف الحملات الاعلامية ضد مصر وضد عبدالناصر شخصيا . فكان يشهر به ، ويعايره بأن شرم الشيخ المصرية مازالت تحت الاحتلال الاسرائيلى منذ حرب السويس سنة ١٩٥٦ . وكثيرا ما وقف صلاح جديد يخطب فى الجماهير فيوجه اسئلة الى عبدالناصر عبر الأثير تقول : « قل لنا يا زعيم العرب اين شرم الشيخ الآن ؟! قل لنا يا معبود الجماهير لماذا لا ترسل قواتك لاسترداد أرض مصر وانتزاعها من قبضة الصهاينة ؟!

وكان عبدالناصر يغضب كثيرا بسبب تلك الحملات الاعلامية التى لا تتوقف ولا تنتهى ..

ولم يكتف صلاح جديد ، وابواقه ، بمسألة شرم الشيخ ، وانما أضافوا اليها مسألة قوات الطوارىء الدولية ، واتهموه بأنه وافق على تواجد تلك القوات لحمايته ضد هجمات اسرائيل !

مزايدات عربية لا تنتهى ..

وفى نفس هذا الوقت كان عبدالحكيم عامر يزور باكستان فى زيارة رسمية . فاستمع هناك الى نفس تلك المزايدات ، التى يتساءل أصحابها كيف تقبل مصر الاحتلال الاسرائيلى لشرم الشيخ ، وكيف لا تظهر قوتها . فما كان من عبدالحكيم عامر الا أن

انفعل هو الاخر فأرسل الى عبدالناصر برقية من باكستان يقول له فيها .. « ارجو ان تأمر باغلاق مضايق تيران »

وعندما عاد عبدالحكيم عامر الى القاهرة سأله عبدالناصر :

— « هل تعرف معنى طلبك هذا يا عبدالحكيم ؟ معناه ان اسرائيل لن تسكت ابدا . ومعناه أن تنشب الحرب بيننا وبينها ، هل أنت على استعداد لمواجهة تلك الحرب ؟ »

ورد عبدالحكيم

— « قواتنا مستعدة لأى شىء يا ريس .. »

وأراد عبدالناصر أن يضع حدا لتلك المزايدات العربية التى لا تنتهى

وكان أن أصدر أمرا بحشد القوات المسلحة المصرية ، ونقلها الى سيناء لتكون فى موقف التحدى والمواجهة لاسرائيل . وكما قلت فان زهرة قواتنا المسلحة كانت موجودة فى هذا الوقت فى اليمن .

ولم يستطع عبدالناصر أن يستدعى تلك القوات لاضافتها الى باقى قواتنا المتحشدة فى سيناء .

واستيقظ سكان مصر ذات صباح على منظر طوابير لا تنتهى من العربات ، والمدرعات ، والدبابات ، تخترق المدن فى طريقها الى .. سيناء .

ونظمت حملة اعلامية هائلة لتغطية الحدث الكبير صحفيا واذاعيا وتليفزيونيا .

وكان لابد من وضع خطة عسكرية لعملية الحشد ، والحشر ، فى سيناء ..

ووضعت خطة بالفعل ..

وفى عيد الطيران — يوم ٢٢ مايو — القى عبدالناصر خطابا اعلن فيه اغلاق مضايق تيران . وطلب من الأمم المتحدة أن تسحب قواتها ، لأن تواجد تلك القوات مشروط بموافقة مصر وبناء على طلبها .

وجاء سكرتير عام الأمم المتحدة فى هذا الوقت — اوثانت — وقابل عبدالناصر ، للاتفاق معه على قرار طلب سحب القوات .. وقال عبدالناصر انه يطلب سحب تلك القوات من عند مضايق تيران فقط ، على ان تبقى فى المناطق الاخرى . ولكن أوثانت فضل أن تنسحب القوات الدولية من جميع المناطق لا من منطقة المضايق وحدها .

وخرجت قوات الطوارىء الدولية من سيناء ، ومن المضايق ..

وعكفت القيادة العسكرية على وضع الخطط .

وفى عصر كل يوم ابتداء من ٢٥ مايو كنت اتوجه الى مقر القيادة فى مدينة نصر مع عبدالناصر وعدد من اخواننا اعضاء مجلس قيادة الثورة لنستمع ونراجع مع عبدالحكيم وباقى القيادات معه خطط المعركة وتصوراتنا لها .

ولم نكن نغادر المكان قبل منتصف الليل . وكنا نتناول طعام العشاء فى مقر القيادة .. أخر اجتماع لنا هناك كان فى يوم ٢ يونيو وكان يوم جمعة . وفى يوم الخميس السابق له الموافق اول يونيو كان رئيس وزراء اسرئيل اشكول يرتعد ويرتعش كما قال وايزمان بعد ذلك . وكان وايزمان يشغل منصب قائد العمليات فى هذا الوقت .. وكان اشكول يرفض بدء الحرب ، ويرفض نصيحة وايزمان وتأكيداته له بكسبها .

وعاش العالم كله على اعصابه ..

جونسون - من واشنطون - أرسل يقترح التقاط الأنفاس ، والروس - من موسكو - بعثوا يلحون فى تهدئة اللعب بعض الشىء ابعادا لشبح الحرب .

واتصالات ، ورسائل ، برقيات ، من عواصم الدنيا كلها تصل ، وتنصح ، وتتوسط ..!

فى اول يونيو حدث تطور مفاجىء ..

فقد اعلن فى تل ابيب عن تشكيل حكومة ائتلافية .. اى حكومة حرب بمنتهى البساطة .

وهناك شىء اقوله للتاريخ ، وللحق ، وهناك شهود عليه يعيشون بيننا حتى اليوم ..

ففى مساء الجمعة ٢ يونيو ١٩٦٧ اجتمعنا فى مقر القيادة ، حول مائدة طويلة ، وشارك فى هذا الاجتماع جميع قادة القوات المسلحة ، وصدق جمال عبدالناصر بصفته رئيس الجمهورية على الخطة العسكرية النهائية . فالمعروف فى جميع الحروب أن يعطى رئيس الجمهورية توجيهين . توجيها استيراتيجيا للقائد ، ثم يوقع أمر القتال .

ووقع عبدالناصر على الخطة ، مصدقا عليها ..

ثم وجه حديثه الى قائد سلاح الطيران الجالس معنا قائلا :

— « الضربة الأولى سيوجهها اليهود ضد طيراننا »

فرد قائد سلاح الطيران بسرعة :

— « نحن نتوقع ذلك يا سيادة الرئيس ، وأعددنا خطتنا بناء على ذلك . »

وعاد عبدالناصر يقول :

— هل قدرتم حجم خسائرنا فى الضربة الأولى ؟ »

ورد قائد السلاح :

— « لن تزيد على ١٠٪ بأى حال من الأحوال ! »

ثم نظر الرئيس الى جميع القادة وقال لهم

— « نحن اليوم فى مساء الجمعة ، وبالأمس شكلت حكومة ائتلافية فى اسرائيل . فاذا نشبت الحرب فموعدها غدا السبت ، أو بعد غد الأحد ، او يوم الاثنين كاقصى موعد لها »

وكان عبدالناصر كان يقرأ فى كتاب مفتوح ..!

فقد نشبت الحرب بالفعل صباح يوم الاثنين ٥ يونيو ..!

المهم ان عبدالناصر لم يترك قادة القوات المسلحة على عماهم كما يقولون . بل على العكس من ذلك حدد لقائد سلاح الطيران ان الضربة الأولى لاسرائيل ستوجه الى سلاح الطيران المصرى . وطلب منه أن يضع خطته على هذا الأساس حتى يقلل من حجم الخسائر لاقصى حد ممكن . كما حدد لجميع القادة موعد المعركة بالضبط . وباليوم . وبالساعة ايضا حتى لايقول احدهم ان الحرب جاءت مفاجأة له ولم يكن يستعد لها

كان عبد الناصر يتمتع بحاسة سياسية مرهفة . كما كان يتميز بعسكرية متميزة ساعدته فى المشاركة فى وضع خطة الهجوم التى وافق عليها جميع القادة . ووقع عليها عبد الناصر لتنفيذها .

ونشبت الحرب ..

واشهد امام الله وامام الناس ان الخطة التى اتفق عليها وامر عبد الناصر بتنفيذها . لم تنفذ . واحدث البعض الكثير من التغييرات والتعديلات مما ابعدها كثيرا عن الخطة الأصلية .

وفى رايى ان تلك التعديلات التى ادخلت على الخطة الأصلية هى المسئولة عن سقوط مدينة العريش فى اول يوم لبدء المعركة!

وسقوط العريش ، كان يعنى انتهاء الحرب لصالح العدو ..

فالعريش كانت تعتبر القاعدة الثابتة لقواتنا

فعندما تتكدس احتياجات القوات . وتموينها . وذخيرتها وقد اختيرت لذلك لبعدها عن المعركة . وعن متناول العدو . وكانت المفاجأة ان العريش سقطت فى أول يوم لبدء المعركة

والعريش ذاتها لم تسقط فى حرب السويس سنة ١٩٥٦ الا بعد قتال رائع وعنيف فى ابو عجيلة دام ثلاثة ايام . على الرغم من تمكن اليهود من اقتحام ابو عجيلة اكثر من مرة بهجوم مضاد واضطروا الى الانسحاب فى كل مرة

حدث هذا فى ١٩٥٦ . اما فى ١٩٦٧ فقد سقطت العريش فى يوم المعركة الأول وبلا مقاومة تذكر! وبسقوط العريش تحددت نتيجة الحرب ..

وكانت الهزيمة البشعة الشى ليس حديثى اليوم عنها ..

المهم فى صباح ٥ يونيو استيقظت من نومى على من يقول لى

ـ « اليهود هجموا علينا! »

وامسكت بجهاز الراديو الصغير بجانب سريرى فسمعته يذيع البيانات التى تصدرها القيادة تباعا عن سير المعركة وكان البيان الذى سمعته أولا يحمل نبأ اسقاط ٢٧ طائرة اسرائيلية كانت تغير فوق مواقعنا

وكان تعليقى الوحيد على ذلك هو

ـ واله لقد وقع اليهود فى المحظور!

وكنت وقتها مطمئنا تمام الاطمئنان . ولم أغير برنامجى الصباحى الذى تعودت عليه . فلم اسرع وارتدى ملابسى . وانما دخلت الحمام لأحلق ذقنى وأخذ حمامى .. كما تعودت فى كل صباح

وعندما ارتديت ملابسى فيما بعد . ركبت السيارة وطلبت من السائق ان يذهب بى الى مدينة نصر .. حيث مقر القيادة . وانطلقت بى السيارة فى طريق صلاح سالم . وفجأة رأيت دخانا كثيفا يتصاعد الى السماء من ناحية مطار الماظة ومطار القاهرة . ولم أنزعج فى بادىء الأمر . فكنت اعرف ان لدينا شبكة صواريخ تحرس تلك المنطقة . ولابد ان هذا الدخان المتصاعد هو دخان الطائرات الاسرائيلية المتساقطة والمشتعلة !

وتركت السيارة طريق صلاح سالم واتجهت فى الطريق المؤدى الى مدينة نصر . وشاهدت بجانبى سيارة اخرى سوداء . كبيرة . يرفرف فى مقدمتها العلم السوفيتى . كانت سيارة السفير السوفيتى .

فتصورت على الفور ان السفير ذاهب الى مقر القيادة لتقديم التهانى باسم حكومته ، أو ربما يكون مطلوبا فى القيادة لتلقى طلباتها من السلاح والذخيرة

وقلت للسائق : **سر خلف سيارة السفير السوفيتى ، فمن المؤكد انه ذاهب معنا الى القيادة .**

وتوقفت السيارتان امام مقر القيادة . وتركت للسفير فرصة ليسبقنى فى الدخول ثم تركت سيارتى ودخلت الى القيادة ، واستقبلنى ضابط صغير السن بمتلىء حماسة ، وسعادة ، وبادرنى قائلا : **لقد ارتفع عدد طائرات اليهود التى اسقطناها حتى الآن الى ٥٠ طائرة!**

وركبت المصعد ونزل بى فمركز القيادة كان تحت الارض ..

ودخلت مكتب عبد الحكيم عامر ..

ورايته واقفا خلف مكتبه ونظراته زائغة ، ولا تركز على شىء محدد!

ونظرت الى الكنبة الطويلة فى الغرفة ، فرايت اثنين من أخواننا أعضاء مجلس قيادة الثورة جالسين وصامتين!

منظر عبد الحكيم ، ونظراته الزائغة ، ومنظر الزميلين وصمتهما الغريب ، جعلنى اتوقع سماع كارثة غير متوقعة وغير منتظرة!

ونظرت الى المشير وقلت له :

- صباح الخير يا عبد الحكيم .

ولم يرد على عبد الحكيم بكلمة! كأنه لم يسمع . كأنه لم يشعر بدخولى الى مكتبه ووقوفى أمامه!

وبعد دقيقة كاملة تنبه عبد الحكيم الى وجودى ، وتذكر اننى القيت عليه تحية الصباح ، فرد التحية بصوت خافت :

- صباح النور يا أنور .

وتوجهت الى الكنبة وقلت للزميلين :

- ايه الحكاية يا جماعة؟ فيه اية قولولى؟!

وردوا على بأخر شىء كنت اتوقعه او انتظره قالا لى معا فى صوت واحد :

- اليهود ضربوا سلاحنا الجوى بالكامل!

واضاف احدهما قائلا :

ـ هل تذكر ماذا حدث فى حرب ١٩٥٦ ، عندما ضرب اليهود جميع الطائرات ، لقد كرروا نفس الضربة صباح اليوم . وضاع سلاحنا الجوى كله!

الذى قاله لى زميلى عضو مجلس قيادة الثورة يعنى شيئا خطيرا جدا . فالخطأ تكرر مرتين . وقائدا سلاح الطيران فى المرة الأولى هو نفسه قائد سلاح الطيران فى المرة الثانية . وجمال عبد الناصر نبه الى ان الضربة الأولى لليهود ستوجه ضد سلاح الطيران المصرى . وقائد هذا السلاح اكد لجمال عبد الناصر ـ امامنا جميعا ـ الى انه يتوقع حدوث تلك الضربة . وانه وضع حساباته على هذا الأساس . وللاقلال من حجم الخسائر بقدر الامكان . ليس هذا فقط بل ان صحيفة « الأهرام » نشرت فى عددها الصادر يوم ٣ يونيو نبأ لها من لندن نقلته وكالات الأنباء يقول ان الحرب ستنشب بين يوم وآخر وان اسرائيل ستوجه ضربتها الى السلاح الجوى المصرى قبل ان تبدأ اية معركة أخرى .

كل هذا معروف لنا جميعا . وقبل أيام عديدة من بدء الحرب . فكيف سمحنا بتكرار الخطأ وكيف وقعنا فى نفس المصيدة؟

وجلست وأنا كالمذهول ، وغير مصدق لما سمعته .

أنور السادات